عينان وأقدار

ركن (سامح) سيارته بجوار دكان صغير ليشتري علبة الدخان، نزل ليطلبها من البائع، كان حوله ثلاثة أو أربعة أشخاص آخرين كل منهم يشتري شيئًا ويحاسب البائع، شعَر (سامح) بالتشتت في عيني البائع، فقرر أنْ ينتظر حتى يفرُغ من الآخرين، رغم أنَّه لمْ يتبق على موعد طائرته سوى ساعتين، رحلة هذه المرة إلى «إسبانيا» لمدة عشرة أيام، يتمنى أنْ تُكلل بالنجاح كباقي الاتفاقيات التي يرأسها، و فجأة رآها.. ظهرت أمامه، توقف الزمن للحظات، وكذلك هو، وهو يراقبها تتحرك وبرفقتها فتاة أخرى.

ـ هي فعلًا؟ أجل.. هي!!

حدَّث نفسه بذلك، وهو مندهش.

ذهبت مباشرة لثلاجة المشروبات الغازية.. ابتسم، وقال في نفسه:

ـ ما زالتْ تحبها!

راقبها وهي تأخذ علبتين، وتضحك، و تُكمل حوارها مع رفيقتها، ثم رأته، ثبتت مكانها وتشابكت بينهما العينان، علت وجهها الدهشة:

ـ أيُعقل أنْ يكون هو؟!

حدَّثت نفسها بذلك أيضًا:

ـ ما هذا القدر؟!

فآخر مرة التقيا، كانت من سبع سنوات، يوم افترقا.. كان شابًا صغيرًا، لا يملك لها بين يديه غير قلبه والأحلام، وكانت ترى فيه كل الأمان، كانت لغة الحب بينهما تزداد وتزداد، غير أنَّ لأهلها كانت كلمة قاطعة، ففي نظرهم هو لا يصلُح لها، فأمامه مشوار طويل، وهي جاءها متقدمًا آخر، يحمِل في جُعبته الكثير، فكان الوداعُ والافتراق واقع فُرض عليهما بلا اختيار، ولأنَّه يخاف عليها.. فهو يحبها، قرر أنْ تنقطع بينهما أي اتصالات حتى يكون جاهزًا لطلبات أهلها، وإذا قدر الله ـتعالىـ لهما ذلك، فسيكون، مهما كانت رغبتهم، وأخبرها:

ـ قلبي لمْ ولن يرى غيرك حتى أموت.

وهي ردت عليه:

ـ سأقاوم وأنتظرك، وإنْ أعيتني الحِيَل، تأكد أنَّ حبي لك لن يموت.

وسارت بهما الأيام والأقدار، واشتغل على نفسه كثيرًا ليل نهار حتى ارتقى في عمله، ووصل لمنصب مدير تنفيذيّ في شركةٍ عالمية مرموقة.

أمَّا هي، فقاومت إصرار أهلها على زواجها مرات ومرات، فلمَّا فاض بها، وما زال هو على صمته، استسلمت لهم من عامين، وتزوجت من طبيب هو في معاملته معها إنسان، لكنَّه لمْ يستطع أنْ يمتلك أهم ما فيها «قلبها».

أما (سامح) فكان يتابع أخبارها في حرص وتدقيق، دُون أنْ يُعلِمها، حتى عرف بزواجها، فتحوَّل لعمله، وانشغل به.

ساد الصمتَ الموقفُ بينهما والمكان، وخُيل لهما أنَّ حولهما أصبح فراغًا.. هي وهو فقط، وللحظات باغتهما الاشْتِيَاقُ.

أي حب هذا الذي يستيقظ في ثوانٍ، فيملأ كل شيء حولهما بالورود والريحان!

علت وجهها الابتسامة والارتياح، وتمتمت له بعينيها:

ـ لمْ تتغير، أنت كما أنت.

نظر لها في حنان، و قال بعينيه:

ـ وأنتِ جميلة كما أنتِ.

وبدا أنَّهما لمْ يفقدا حديث العينين بينهما، رغم مرور كل هذه الأعوام.

لمْ يوقظهما إلّا صوت صديقتها:

ـ (دينا).. ماذا بكِ؟! أتعرفينه؟

هزت رأسها منتبهة، وقالت:

ـ نعم يا (رنا)، هذا سامح.

تفاجأت (رنا) ونظرت له، وقالت:

ـ هذا هو!

انتبهت (دينا) لصوتها العالي، وقالت لها:

ـ صوتك عالٍ.. اصمتي.

صوتها وصله فاستيقظ من غفوته، ولأنَّه لا يريد لها أي موقف يصعُب تفسيره.. اختطف نظرةً لها سريعة في وداعٍ، وهو يتجه لسيارته، كأنَّه يقول لها:

ـ سأذهب حتى لا أسبب لكِ الإحراج.

فبادلته نظرة عتاب:

ـ سريعًا هكذا؟!

نظر لها أخيرًا نظرة تحمِل كل الحب والأمان كما اعتادت، كأنَّه يقول:

ـ هكذا أفضَل.. يكفيني أنْ رأيتك قدرًا.

واستدار يركب سيارته ويرحل، تاركًا روحه في ذلك المكان، وحاملًا معه قلب (دينا) لآخر ما فيها من الأنفاس.